الفصل الخامس

الفكر الاجتماعي في فلسفة نيتشه ومضامينه التربوية

تمهيد:

يعد التناول الاجتماعي لفلسفة نيتشه – من خلال دراسة أفكاره الاجتماعية، أو من خلال النظر إلي فلسفته ككل باعتبارها ذات صبغة أيديولوجية – هو الجانب الأكثر تعرضاً للنقد في الفكر النتشوي، ويرجع ذلك إلي عدة أسباب، أهمها :

- ارتباط فلسفة نيتشه بنظام الدولة والتعليم في ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولي، و كذلك لارتباطها بالجهاز الدعائي للنازي فترة ما قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية .
- أن نيتشه لم يهتم بتحديد إطار عام لفكره الاجتماعي والسياسي، مما جعل آراءه المتناثرة حول الموضوعات الاجتماعية والسياسية قابلة للتأويلات والتفسيرات المتعددة من خلال أنساق غير التي قصد إليها نيتشه .

لذلك ينقسم مفسرو نيتشه حول المضمون الاجتماعي لكتاباته إلى رأيين، الأول هو أنه ليس هناك تأويل واحد صحيح بل عدة تأويلات مناسبة بحسب الإطار الحضاري الذي تتم فيه عملية التأويل [1]، والآخر هو أن فكر نيتشه الاجتماعي محدود بإطاره الزماني والمكاني باعتباره رد فعل لنزعات لم تكن قد اكتسبت شكلها النهائي بعد سواء في ألمانيا أو أوروبا، وأن أي تأويل معاصر لها هو إخضاع لفلسفة نيتشه للأيديولوجيات السياسية، وبالتالي إفسادها لتتلاءم مع أغراض الدعاية السياسية [2].

ولتجنب مثل هذه الدعاوى أو التأويلات الأيديولوجية، فإن الدراسة الحالية تشرع في تناولها لفكر نيتشه الاجتماعي وفقاً لمحددين أساسيين :

الأول : هو أن آراء نيتشه الاجتماعية هي بمثابة اختبار للنموذج الأخلاقي النتشوي(الفرد المستقل) علي صعيد العلاقات الاجتماعية المتعددة .

الثاني : هو أن هذه الآراء هي جزء من مشروع أوسع يتناول نقد الأسس التي قامت عليها الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، ومن ثم تجاوزها.

وبينما يقوم المحدد الأول على أساس التشابك والتفاعل بين الجوانب المختلفة لفلسفة نيتشه، فإن المحدد الثاني يشير إلي تكامل هذه الجوانب في وحدة واحدة تجمع كتابات نيتشه

1- Leslie A.Sassone,**Op.Cit**, p 515.
2 -Eliyahu Rosenow, **Nietzsche's Educational Legacy**,Op.Cit,p 683.

وتوجهها تجاه هدف محدد، وهو تجاوز حالة العدمية التي سادت الفكر والأخلاق والمجتمع الأوروبي في عصره.

ووفقاً لذلك يتناول هذا الفصل النقد الاجتماعي في فلسفة نيتشه، والنموذج الاجتماعي النيتشوي، ثم أهم المضامين التربوية في فكر نيتشه الاجتماعي.

وقد ظهر الوعي بالعدمية الأوروبية الناتج عن الحداثة عند نيتشه منذ كتاباته المبكرة مثل "الدولة الإغريقية" Greek state "والصراع الهوميري" Homer's Contest ، وقد اختلطت هذه الرؤية المبكرة للحضارة الغربية بإيمانه بإمكان بعث الحضارة من جديد علي أسس من الحضارة الهيللينية القديمة، وهو ما عبر عنه في كتابه "ميلاد التراجيديا":

> ربما كانت كل هذه الأفكار الحديثة، تحامل الحس الديمقراطي، انتصار التفاؤل، الانتشار المبالغ للعقلانية، النفعية علي مستوي النظرية والتطبيق، ربما تكون كل هذه الأفكار أعراض لانهيار القوة، أو تهديد لعصر هرم، أو علامات إرهاق سيكولوجي [1].

إلا أن المرحلة التالية من فكر نيتشه عبرت عن يأسه إمكان إصلاح المؤسسات الغربية، حيث آمن أن الفساد لا يكمن في تلك الظاهرات التي أشار إليها فحسب، بل في البناء التحتي لأسس الحضارة الغربية ذاتها، لذلك كانت كل أعماله المؤثرة بدءاً من " إنساني، إنساني إلي أقصي حد " مروراً بالعلم الجذل، "جينالوجيا الأخلاق"، "ما وراء الخير والشر"، وعمله الرمزي التأملي " هكذا تكلم زرادشت" كانت بمعني عميق، بحثاً عن جذور التفسخ في الثقافة الأوروبية[2]، والتي يهاجم فيها إنجازات الحداثة باعتبارها رموزا حقيقية لتفسخ المؤسسات الاجتماعية والسياسية والثقافية الأوروبية بوجه عام[3] .

ويجمل ليفين P.Levine رؤية نيتشه لتأثير العدمية الأوروبية علي السياسة والمجتمع الأوربيين في النقاط التالية[4] :

- ثقافة الإنسان الأخير : حيث تقوم قيم الإنسان الأخير علي اللامبالاة تجاه كل الأيديولوجيات، تسامح متساوٍ تجاه كل الآراء، ومن ثم فلا راع وقطيع واحد.

1- F. Nietzsche, **The Birth of tragedy** ,Perface,Op.Cit, Sec 4, p 164.

٢- آرثر هيرمان، **مرجع سابق**، ص ١٤٠.

3- Daniel W. Conway, **Nietzsche's Dangeros Game**, Cambridge university,Cambridge University Press,1997, p 9.

4- Peter Levine, **Nietzsche and The Modern Crisis of The Humanities**,New York,State University of New York Press, pp 138-142.

- أزمة ما بعد – المسيحية : يشير مصطلح (ما بعد Post) في الثقافة الغربية إلي انتهاء نفوذ النموذج المهيمن مع عدم تكون نموذج مضاد مواز له في القوة، لذلك تشير أزمة ما بعد المسيحية إلي غياب الأيديولوجية المسيحية الأخلاقية من عالم السياسة تاركة إياه لحالة من الفوضى والانهيارات والتفكك، حيث لا تسعي السياسات نحو غاية سوي ذاتها.

- النماذج اللاتاريخية : ويعني بها أن أفكار ونزعات معينة بفضل إرضائها لطموحات الإنسان في وقتٍ ما، قد يصبح الإيمان بها كمبادئ قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان باعتبارها نماذج مطلقة للمجتمع البشري (مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية) وهو ما يؤدي لتوقف عمليات التقدم والإبداع البشري.

لذلك يصف نيتشه المجتمعات الأوروبية في القرن التاسع عشر بأنها" عدمية غير مكتملة " تحاول الهرب من عدميتها من دون أن تنجز مشروعاً لإعادة تقويم كل القيم [1].

ويرتبط مشروع إعادة تقويم كل القيم علي المستوى المجتمعي عند نيتشه بالثقافة بصورة أساسية، حيث يميل نيتشه للتركيز علي المكون الثقافي في البُنيات الاجتماعية باعتباره الجانب القيمي المعياري لها، وهو ما يؤكد عليه تايلورuentin P.TaylorQ من أن الثقافة الحقة هي الفضاء الأكثر أهمية للمجتمع، والمجال الأكثر حسماً للمحاولات الإنسانية، لذلك فإن نيتشه يُقّوم المجالات والنشاطات اللاثقافية المتعددة علي أساس علاقتها الإيجابية أو السلبية مع الثقافة الأصيلة [2] .

ولا يقدم نيتشه تعريفاً لمفهوم الثقافة أو مجالها، إلا أنه يقدم تصوراً فريداً لها، فالثقافة عند نيتشه هي تعبير عن إرادة القوة في سعيها لإنتاج النماذج البشرية المتفردة وإعلاء الجنس البشري، معبرة عن نفسها في مجموع الممارسات النخبوية في المجالات المتعددة للفن والفكر، والتي تهدف لتحقيق المجتمع العلو على ذاته وقدرته على خلق هؤلاء الأفراد المتميزين.

---

1 -F. Nietzsche , **The will to Power**, Op.Cit, Sec 1,No 28, p 24.
2 -*Quentin* P.Taylor, **The Republic of Genius:A Reconstruction of Nietzsche's Early Thought**, Rochester, University of Rochester Press,1997, p66.

حيث يشير نيتشه إلي الثقافة باعتبارها المشروع الإنساني نحو الاكتمال، أو هي الصيرورة المدفوعة بإرادة القوة والتي تعبر عن نفسها في كل ما ينجزه الإنسان (أعمال الفن والفلسفة والقانون والدين واللغات) في سبيله للتغلب علي ذاته وعلي الطبيعة [1].

ويحدد نيتشه هدف الثقافة في " تحقيق الاكتمال البشري "[2]، ولا يمكن تحقيق هذا الاكتمال إلا من خلال خلق القوي القادرة علي دفع الإنسان لتجاوز ذاته وتحقيق هذا الاكتمال " فالثقافة بالنسبة لنيتشه هي في جوهرها عنف القوي التي تستولي علي الفكر لتجعل منه شيئاً فاعلاً إثباتياً، أو هي تكوين للفكر تحت تأثير قوي انتقائية تمارس علي الإنسان لإجباره علي التفكير "[3] .

ويتمثل هذا الاكتمال فيما يدعوه نيتشه " جمهورية العباقرة " والذي هو أقرب لتصوره لمجتمع بشري يتآلف أعضاؤه من النماذج البشرية الذين يكملون تأسيس الثقافة ليس كهدف مقرر عن وعي، ولكن كمنتج ثانوي غير مقصود وغير مباشر لسعيهم الخاص خلف الاكتمال الذاتي[4]، لذلك تحدد الثقافة مهمة واحدة للإنسان هي أن يبحث عن ويبتكر الشروط الملائمة التي يمكن من خلالها إيجاد هؤلاء المبتكرين العظام [5]، وأن يعمل الجنس البشري بشكل متواصل إنتاج هذا الفرد العظيم، هذه هي المهمة ولا شئ غيرها[6].

ومن خلال هذا المنظور يمكن القول أن الثقافة هي اتجاه الإنسانية لخلق " الإنسان الأعلى " باعتباره يمثل الشروط الأسمى للإنسان، والذي لن يتحقق إلا من خلال توفير الشروط السياسية والاجتماعية والثقافية اللازمة.

لذلك يري نيتشه أن الثقافة والمجتمع الأوربيين في حاجة إلي ثورة عقلية علي مستوي الأهداف، تعكس اتجاه القرن التاسع عشر وتعيد تشكيل المجتمع الأوروبي[7].

1- Eric Blondel , **Nietzsche: The Body and Culture**,Transel:Sean Hand, Stanford, Stanford University Press,1991, p 49.

2 -F. Nietzsche, **Schopenhauer as Educator**,Op.Cit , Sec 5,p158.

٣- جيل ديلوز، **مرجع سابق**، ص ص ١٣٨-١٣٩.

4 -Daniel W. Conway , **Nietzsche and The Political**,Op.Cit, p 15.

5 -F. Nietzsche, **Schopenhauer as Educator**,Op.Cit ,Sec 5, p 160.

6 -**Ibid**, Sec 6 , p 161.

٧- آرثر هيرمان، **مرجع سابق**، ص ١٣١.

النقد الاجتماعي في فلسفة نيتشه.

يتشكل الاتجاه النقدي الرئيسي لفكر نيتشه الاجتماعي في ضوء هذه الغائية المعيارية للثقافة نحو هدفين أساسيين، الأول هو نموذج الدولة كما تمثلته الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، والآخر هو مبدأ المساواة بكل ما ترتب عليه من أفكار ونزعات سادت المجتمع الأوروبي في تلك الحقبة، باعتبارهما العائقين الأساسيين في سبيل إنجاز المشروع النتشوي لإعادة تقويم كل القيم علي المستوي الاجتماعي .

١- الدولة .

عارض نيتشه اعتبار الدولة في شكلها الحديث الذي ظهر في الحقبة ما بعد النابليونية أعظم الإنجازات الاجتماعية في العصر الحديث[1]، حيث أعتبر أن الدولة "حيوان خبيث" ويصفها بأنها:

> " تحب أن تتكلم فترسل بيانها دخاناً وهريراً لتخدع الناس، وتجعلهم يعتقدون أن أقوالها مستمدة من غور الأمور، فهي تريد أن تكون اعظم حيوان على وجه الأرض، والعالم يراها على ما تريد"[2].

حيث نظر نيتشه إلى التنظيمات الاجتماعية والسياسية الممثلة في الدولة باعتبارها عائقا أساسيا ضد إصلاح الثقافة الأوروبية "فالدولة والثقافة هما خصمان يجب على المرء ألا يخدع نفسه بهذا الشان"[3] فينظر للدولة باعتبارها خصما للثقافة، ويؤكد على ذلك :

> " بل أن إحداها تعيش على الأخرى، إحداهما تزدهر على تبديد الأخرى، إن كل العصور العظيمة للثقافة كانت عصور انحطاط سياسي، ما هو عظيم ثقافيا يجب ألا يكون سياسياً بل حتى مضادا للسياسةticaliAnti-Pol"[4]

وتقع هذه الرؤية بصورة أساسية في سياق معارضة نيتشه لتطور سياسة الرايخ الألماني والدولة القومية البسماركية، حيث نظر نيتشه إلى الدولة باعتبارها توفر الشروط اللازمة لنشوء واستمرار المجتمع وتزويده بمرجعية عامة وفوق فردية، تنتشل البشر من حالة

1- George Schopfin, **Nation, Identity, Power: The New Politics of Europe**, London, Harts and Company,2000 ,p 23.

٢- فردريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، مرجع سابق، الكتاب الثاني، ص ١٦٠.

3 -F. Nietzsche,**Twilight of Idols**,Op.Cit, Sec 7,No 4 ,p 73.

4- **Ibid**, p 71.

الإنسان الطبيعي وتدفعهم لدرجة من الانتظام في شئونهم، وتوسع من رؤيتهم الأخلاقية والعقلية والعاطفية، إلا أنها في ذات الوقت مصدر عدد لا يحصى من الأفعال المعبرة عن العنف والقهر تجاه الأفراد، والتي تعوق قدرة الجنس البشرى على إنتاج الأفراد المستقلين بطريقة منظمة ومقصودة، وهي الغاية التي يكرس لها نيتشه تفكيره السياسي، ويؤكد على ذلك بقوله:

> إن هدف السياسات هو مساعدة الطبيعة في تحقيق هذه الغايات، اكتمال الجنس البشرى كتعشيقة متناغمة، تتمثل في إنتاج البشر النماذج [1].

ووفقاً لذلك يمكن القول إن نيتشه لم ينكر ضرورة الدولة أو السياسة على الإطلاق، لكن رفض فكرة أن الدولة هي المبدأ والمؤسسة الأعلى في المجتمع، أو أن الواجب الأسمى للمواطن هو خدمة الدولة، أو أن السياسة تشكل مجالاً سامياً للنشاط الإنساني، ويؤكد تايلور أن الدولة بالنسبة لنيتشه تشكل الإطار الضروري للمجتمع ولكنه رأى أن التقدير المبالغ فيه للدولة مصحوب بالنزعة للتعسكر يهدد أمن ومستقبل المجتمع، ويمارس تأثيرا ضارا على أفراده[2].

فالدولة بالنسبة لنيتشه ليست غاية في ذاتها، بل هي أداة لتحقيق الاكتمال كهدف للثقافة يتمثل في خلق النماذج البشرية القصوى، ووفقاً لهذا المعيار يرى أن الدولة بمعناها الحديث ليست أداة مناسبة لتحقيق هذا الاكتمال، وبالنظر إلي النماذج المحددة للدولة في عصره، يلاحظ نيتشه أن فشل الدولة في عملية إنتاج الأفراد المستقلين يكشف زيف ادعاءاتها[3]، وهو ما يؤكد عليه:

> فحين تشجع دولة ما لثقافة فإنها لا تشجعها إلا لصالح ذاتها، ولا تتصور يوما وجود هدف أسمي من خيرها ووجودها، حيث تحرف قوى الثقافة عن هدفها وتحولها إلى قوتها الخاصة بها [4].

---

1 -F. Nietzsche, **Schopenhauer as Educator**,Op.Cit ,Sec 6, p 166.
2 -Quentin P.Taylor, **Op.Cit** , pp 18-19.
3 -Tomas Conte ,"Nietzsche Anarchism and The Possibility of Political Culture" ,**New Political Science** , Vol 21, No 3, London. Taylor & Francis headquarters , 1999,p 384.
4 -F. Nietzsche, **Schopenhauer as Educator**,Op.Cit ,Sec 6, p 165.

لذلك يرى نيتشه الدولة باعتبارها " الصنم الجديد " الذي يستولي على ثروات وطاقات الأفراد الفكرية والعملية لصالحه[1]، وتريد من البشر أن يقدسوها بنفس الطريقة السابقة لتقديس الكنيسة[2]، ويرى بعض النقاد أن نقد نيتشه لسيطرة الدولة ينبع من أزمة الفاعل الإنساني، وتهميش الدولة لدور الأفراد وحصر وتقييد قواهم الإبداعية في إطار خدمتها، لذلك فهو يعرض للدولة باعتبارها قهراً للثقافة [3].

فالدولة باعتبارها تجريداً للقوى السياسية والاجتماعية المهيمنة تهدف للحفاظ على هذه القوة وتنميتها على حساب القوى الذاتية للأفراد، بينما تتشكل الثقافة من القوى الفردية الإبداعية وتعمل على دعمها وتطويرها في اتجاه تجاوزها نحو الاكتمال، ووفقاً لذلك يرى توماس كونتTomas Conte أن الدولة كنموذج مؤسساتي غير مرغوب فيه ثقافياً ، وبالتالي فإن المشـــاركات السياسية الرسمية تعبر عن اتجاهات غير إبداعية [4].

لذلك يوجه نيتشه فكره السياسي نحو التخلص من الرموز الراسخة للبشر، وبالتحديد رموز الطغيان والنظام البيروقراطي لأجهزة الدولة أو الحزب[5]، من خلال التأكيد على غياب أي مصدر ميتافيزيقي أو مجاوز لسلطة أي بنية محددة من القوى أو أشكال الوجود الاجتماعي' ويرى أن التخلص من التبجيل الزائف للدولة يقف كمرحلة نقدية في التقدم الاجتماعي، يكمن في التخلص من الخطأ البشرى الأكثر شيوعا، وهو الإيمان بأن أياً ما يوجد فإن·له الحق في الوجود[6]، ويؤكد على أن سلطة الدولة مؤسسة على " أن ينصاع المرء طويلا وفي اتجاه واحد "[7].

وعلى ما يبدو فان ما يشير إليه نيتشه من نزعة لتقديس الدولة هو أحد عناصر ما يسميه ليفين بأزمة ما بعد المسيحية، فيشير لنهوض الدولة القومية الحديثة في أوروبا كاستبدال

١- فردريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، مرجع سابق، الكتاب الأول، ص ٧٥.

2 -F. Nietzsche, **Schopenhauer as Educator**,Op.Cit,Sec 4, p 150.

3 -See:

A-Ted Sadler ,"The Postmodern Politicization of Nietzsche",In **Nietzsche,Feminism and Political Theory**,Paul Patton(Ed), London,Routledge,1993, p 237.

B-M.Warren, **Nietzsche and Political Thought**, Cambridge:MIT Press,1988,p 17-18.

4- Tomas Conte, **Op.Cit**, p 385

5 -Ted Sadler, **Op.Cit** , p 238.

6 -F. Nietzsche , **Human , all Too Human**, Op.Cit , sec1 , N 30, p 27.

٧ – فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الخامس، رقم ١٨٨، صـــ ١٣١.

علماني لسلفها المسيحي، ديانة علمانية تحتل فيها الدولة مكان الرب[1]، ويصف استجابة أوروبا لموت الإيمان القديم (أو فقدان الأيديولوجيا المسيحية لمعقوليتها):

إن أوروبا ما زالت تتبع نفس عاداتها القديمة، وتبحث عن سلطة أخرى تتحدث بصفة مطلقة وتأمر بأهداف ومهام غير مبررة، وقد وجدت أوروبا ضالتها المنشودة في فكرة القومية[2]

ويوجه نيتشه نقده نحو فكرة القومية باعتبارها أحد الركائز الأساسية للدولة الحديثة، فالدولة من خلال أفكار مثل القومية والمواطنة تشدد من قبضتها على الفرد، وتوسع من قدرتها على حساب قدرات الأفراد وحريتهم، فالدعم الأساسي للقومية هو الدولة الحديثة والتي في سبيل تهيئة وجودها ونموها وتأثيرها، ومن اجل شرعنة مطالبها، فقد اصطنعت المواطنة بصورتها القومية، وتلجأ بصورة متزايدة لتوظيف الأفكار القومية [3].

ويرى نيتشه أن السياسات القائمة على أساس القومية هي اشد الأخطار التي تواجه أوروبا، فعلى مستوى السياسة الداخلية تحقق القومية لمؤسسات الدولة اكبر قدر من السيطرة والاستحواذ على الأفراد وقدراتهم وطاقاتهم وتوجيهها كأداة في سبيل تحقيق أهدافها الخاصة[4].

أما على صعيد السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول الأوروبية فيرى نيتشه ان القومية تسبب تفكيك جوهري ومضعف للدول الأوروبية، وان الكراهية القومية ستؤدى لانعزال الدول وتدمير الثقافات الأوروبية بالكامل[5]، وأن هذا التباعد المرضى الذي تنصبه القوميات بين شعوب أوروبا بالإضافة إلى السياسات قصيرة المدى ستؤدى إلى صدام مروع يمكن أن يهدد مستقبل الحضارة الأوروبية بالكامل[6].

لذلك نظر نيتشه إلى فكرة القومية باعتبارها شيئاً مصطنعاً ووهمياً[7]، ويرى أنها نتجت عن تحالف قوتين سياسيتين واجتماعيتين تتحكمان في مصائر الأوروبيين، تتشكلان من

---

1 -Stefan Elbe ,"Labyrinths of The Future:Nietzsche's Genealogy of European Nationalism",**Journal of Political Ideologies**,Vol 7, No 1, pp 77-96,(London:Carfax Publishing,2002), p 80-81.

2 -F. Nietzsche , **The Will to Power**, Op.Cit , N 20, p 21.

3- **Ibid**, p 87.

4 -F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit , sec5 , N 235, p 112.

5 -**Ibid** ,Sec 8, No 475 ,p 175.

٦ - فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل التاسع، رقم ٢٥٦، صـ ٢٣٨.

٧- **المرجع السابق**، رقم ٢٥١، ص ٢٢٩.

سلالات حاكمة بعينها وطبقات اقتصادية واجتماعية متحالفة معها وهى التي تعمل معا لتوحيد سيطرتها على الأفراد، أرستقراطية المال التي لا دولة أو وطن لها [1]، ويشير بها إلى القوى الرأسمالية التي تستغل الكراهية القومية لزيادة ثرائها وتعمل على زيادة هذه الحواجز بين الدول لمصلحتها الذاتية، ويرى ستيفان إلبStefan Elbe أن إدراك نيتشه لحقيقة أن المشاعر الوطنية تدعم لحماية ودعم الاهتمامات الخاصة لقطاعات محددة في المجتمع قد أدى لمعارضته لصعود القومية الحديثة [2].

ومن خلال ما سبق يمكن تحديد مفهوم نيتشه للدولة بأنها كل مركب من القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية المسيطرة على المجتمع، وأهداف هذه القوى واتجاهاتها ومصالحها، تعمل على إخضاع الأفراد وقهرهم في سبيل تحقيق مصالحها وتثبيت سيطرتها على المجتمع من خلال إعلاء أفكار مثل القومية والولاء للدولة وإعطائها الأولوية القصوى .

ويرى نيتشه أن الدولة تحقق هذه السيطرة المفروضة على الأفراد من خلال استغلالها لمؤسسات التربية وتطويعها لخدمتها بدلا من توجيهها لخدمة الثقافة وإعلاء قدرات الفرد[3]، وذلك من خلال إعداد الأفراد الأكثر قدرة على تحقيق فائدة أعلى لها، حيث تعمل الدولة من خلال المؤسسات التابعة لها على تسريع التعليم بقدر الإمكان واختصار سنوات التعليم لتخريج الأفراد القادرين على خدمتها، أفراد يتركز اهتمامهم في تحقيق اكبر قدر من الكسب المادي، وتدعم الدولة هذا الاهتمام بغض النظر عن القدرات والإمكانيات الحقيقية التي يكسبها الأفراد – أو التي كان من الممكن أن يكتسبوها– إذا ما تلقوا تعليما ملائما، ويؤكد نيتشه على ذلك:

> إن الدولة لا ترعى النضج البطيء للأفراد، التشكيل الصبور للذات والذي يجب أن يكون هدف كل ثقافة، وإنما تعتمد التشكيل السريع القادر علي تخريج موظفين كافين لخدمتها[4].

ويشير نيتشه إلي اتجاهين آخرين يرتبطان بذلك في مجال التربية وترعاهما الدولة، ويسببان في المقابل إفقاراً للثقافة، الأول هو توسيع التعليم إلي أقصي حد ممكن اعتمادا علي العقيدة الاقتصادية التي تري أن رفاهية الدولة ترتبط إيجابياً بقدرتها على تعظيم مخرجات

---

1 -F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit , sec8 , N 475, p 176.
2 -Stefan Elbe, **Op.Cit**, p88.
3 -F. Nietzsche ,**Twilight of Idols**,Op.Cit, Sec 7,No 5 ,p 74.
4 -F. Nietzsche, **On the Future of Our Educational Institutions**,Op.Cit,p 90.

نظام التعليم، بغض النظر عما يحدث في نظام التعليم من أضرار نتيجة لدخول أعداد ضخمة إلي المؤسسات التعليمية[1]

أما الاتجاه الآخر فهو تضييق التعليم إلي أقصي حد ممكن، حيث يهاجم نيتشه تشكيل التخصصات العلمية الضيقة داخل مؤسسات التعليم الحكومية، والذي يدعم قدرات الدولة الاقتصادية، لكنه يضر بالقدرة العلمية والرؤية الشاملة للمتعلمين، وهو ما يرفضه نيتشه، حيث يذكر:

> تشكل الدولة مسارات التعليم ذات التخصصات الدقيقة التي يفني فيها المتعلم قدراته جاهلاً بالتخصصات الأخرى، ومن ثم يختزل معتقداته إلي الإيمان بالأشياء الصغيرة التي تعلمها داخل تخصصه الدقيق، وفي الدولة كذلك[2].

ويمكن تحديد اعتراضات نيتشه علي سيطرة الدولة علي التربية بصفة عامة في :

- تحديد نفسها كهدف أسمي للتربية بدلاً من الارتقاء بثقافة المجتمع وإمكانيات الأفراد الذاتية .
- تحقيق التحكم في الجماهير من خلال فرض أفكارها الخاصة عبر مؤسسات التربية.
- تكبيل للمواهب والطموحات الفردية والساعية نحو الاختلاف.

لذلك رأي نيتشه في سيطرة الدولة علي مؤسسات التربية انهياراً للثقافة، كما انتهى إلى أن الدولة في شكلها الحديث تعمل بشكل يتعارض مع أهداف الثقافة بوجه عام، وتقضي على إمكانية تطور الأفراد وتعزيز قدراتهم الإبداعية، وهو ما يؤكد عليه :

> فما يهم في المتعلمين هو شيء مختلف، عبودية الروح، خدمة الدولة، تقدم العلم، تحقيق السمعة والمكانة، كل هذا كوسيلة لخدمة الإنسانية ككل، بينما متطلبات الفرد، حاجاته الروحية الكبيرة أو الصغيرة خلال الأربع والعشرين ساعة، فأنها تعامل كشيء جدير بالازدراء [3] .

---

1 -**Ibid**, p 94.

2- F. Nietzsche, **On the Future of Our Educational Institutions**,Op.Cit, p 95.

3- F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit ,Second Sequal: " Wanderer And His Shadow", N 6 , p 304.

وإذا كانت الدولة القومية بمفهومها المعاصر قد مثلت في نظر نيتشه عائقا أمام التقدم الروحي للحضارة الأوروبية ورمزاً لقهر الإنسان الحديث، فإن الأفكار الاجتماعية الحديثة التي قد سادت أوروبا قد مثلت ذات الخطر، " فالقوى الرأسمالية والسياسية والمادية والعلمنة والتساوي الديمقراطي، هذه المبـــادئ أعتبرها نيتشه مصدراً للخطر الذي يحيق بالحضارة الأوروبية برمتها "[1].

ولا ينظر نيتشه لهذه المبادئ علي أنها ثمرة تطور طبيعي للمجتمع الأوروبي، ولكنها من أعراض العدمية المسيطرة علي الفكر الأوروبي، أو ما يدعوه ليفين" ثقـــافة الإنسان الأخير "، والتي تتجه للحط من قدر الإنسان الفرد من خلال الإيمان بقيمة المساواة بين الأفراد وفقاً للصورة التي قدمتها المجتمعات الأوروبية في تلك الفترة، حيث يستخدم نيتشه مفهوم العدمية كإشارة لكل أيديولوجيا أو دين أو سياسة تدعم مفهوم المساواة بأي معني كان[2].

٢- مبدأ المساواة .

يري نيتشه أن مبدأ المساواة هو المبدأ الأكثر خطراً علي المجتمع لأنه يبدو كما لو كان مبدأ مجسداً للعدل في ذاته، في حين أن هذا المبدأ يقضي علي أي أساس للعدل، والذي يجب أن يكون " المساواة للمتساويين، واللا مساواة للامتساويين "[3]

ويشير نيتشه إلى أن المساواة " هي فكرة مهذبة يختبئ وراءها العداء السوقي لكل عظيم وامتياز حقوقي أو هي ضرب ثان ألطف من الإلحاد " لا إله ولا سيد "[4]، و أن الدافع وراء الدعوة للمساواة هي غريزة القطيع و التي تحارب أي تميز أو اختلاف للفرد عما يدعو إليه القطيع أو السواد الأعظم من الشعب، والتي يشير إليها نيتشه كحرب ضد الإنسان الأعلى أو أي ضرب من التفوق البشري:

> " يحظى في أوروبا حيوان القطيع وحده بالأمجاد ويوزعها، حيث تنقلب المساواة في الحقوق بسهولة إلي مساواة في الظلم، إلي حرب معممة ضد كل نادر وغريب وصاحب

---

1 -Quentin P.Taylor, **Op.Cit** , p 17.
2- John Andrew Bernstein,**Op.Cit**,p 114.
3 -F. Nietzsche ,**Twilight of Idols**,Op.Cit, Sec 9,No 48 ,p 113.
٤ – فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الأول، رقم ٢٢، صـــ ٤٨-٤٩.

امتياز، إلي حرب ضد الإنسان الأعلى والنفس العليا والواجب الأعلى والمسئولية العليا، إلي حرب ضد غزارة الندرة والسيادة الخلاقة "[1].

لذلك رفض نيتشه إعطاء أي قيمة لهذه الأفكار الاجتماعية القائمة على فكرة المساواة مثل الديمقراطية والليبرالية والاشتراكية باعتبارها متفقة علي العداء الجذري والفطري لكل نمط اجتماعي غير نمط القطيع، والتي تنتهي إلى:

"وصولاً إلي رفض فكرة التراتيبية " لا إله ولا سيد "، واتفاقها علي التصدي العنيد لكل خصوصية في المطلب والحق والامتياز، والذي يعني في باطنه التصدي لكل حق، إذ عندما يتساوى الكل لا يعود أحد بحاجة إلى حقوق"[2]

إن رفض نيتشه لمبدأ المساواة هو نتيجة لرفضه لإنسان القطيع والتشابه اللانهائي الذي تتجه النظم الاجتماعية لخلقه بين الأفراد، ويدعو نيتشه المنادين بهذه الأفكار بالسواسيين باعتبارهم ميالين إلي التنميط الخالص القائم على أن ما يسود بين الأفـــراد من تمايز هو سبب كل بـــؤس وإحباط بشري[3]، وفي المقابل فهو يري أن أهم خصائص البنية الاجتماعية السليمة هي ما يدعوه "روع المسافة " أو الهوة بين الأفراد والطبقات، تعددية الأنماط[4]، والتي تزود الإنسان بالدافع للعلاء علي ذاته ومجتمعه، والإرادة ليكون ما هو عليه، والقوة لتحقيق ذاته الإنسانية المتفردة في مواجهة طغيان القطيع .

إن المساواة – كما يري نيتشه– يمكن أن تتحقق إذا ما توافرت الشروط الملائمة لذلك وهي تماثل الأفراد فعلياً في مقدار القوة ومقياس القيمة، وكذلك تعاضدهم ضمن بنية اجتماعية موحدة، "ولكن أن يؤخذ بهذا المبدأ علي نطاق واسع كأساس لكل مجتمع، فإنه يتحول إلي إرادة لنفي الحياة ومبدأ انحلال وانحطاط"[5]

---

١ –**المرجع السابق**، الفصل السادس، رقم ٢١٢، ص ١٧٥.

٢– فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الخامس، رقم ٢٠٢، ص ١٥٠.

٣– **المرجع السابق**، الفصل الثاني، رقم ٤٤، ص ٧٤.

4 -F. Nietzsche, **Twilight of Idols**,Op.Cit ,Sec 9,No 37 ,p 102.

٥ –فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل التاسع، رقم ٢٥٩، صـــ ٢٤٥–٢٤٦.

إذا لا ينكر نيتشه المساواة بين البشر بشكل مطلق، فلكل البشر حقوق متساوية في ممارستهم للعلاء، ولكن المساواة بين من حقق العلاء علي ذاته ومن لم ينجزه يسئ إلي مبدأ المساواة ذاته، أو كما يذكر نيتشه فإن العدل هو ألا تجعل أبداً مساواة بين اللامتساويين [1].

ويرى نيتشه أن اتجاه الفرد لتحقيق مساواته بالآخرين هو أساس الحركة الإنسانية نحو العلاء، إلا أن اتجاه الإنسان لتحقيق هذه المساواة قد يكون إثباتياً أو إيجابيا حينما يسعى الإنسان لتحقيق مساواته مع الأفراد الأعلى من خلال إعلاء ذاته وتقويته لإرادة أن يكون ذاته، وهو ما يتحقق من خلال الاعتراف بالجميل ومساعدة الآخرين والسعادة بنجاحهم، كما يمكن أن ويكون ارتكاسيا حين يتجه الفرد للحط من قدر الآخرين، ورفض الاعتراف بامتيازهم وحقوقهم التي يستحقونها لما لهم من صفات شخصية[2].

وينصب نقد نيتشه للمساواة على شكلها الحداثي الخالي من أي محتوى، و يرفض أن تصبح المساواة في خدمة اهتمامات القطيع [3]، كما يرفض أن يصبح مبدأ المساواة أيديولوجية صالحة للتطبيق في كل المجتمعات في كل زمان، حيث ينتقد تحولاتها الحديثة التي تشوه قيمة ووظيفة الحقوق والواجبات[4]، لذلك يؤكد أن المبادئ الاجتماعية الحديثة التي تقوم على أساس المساواة تنتمي للشكل الارتكاسى من المساواة، ويشير نيتشه للديمقراطية باعتبارها أحد الأشكال الارتكاسية:

> "إن الديمقراطية ليست صورة من صور الانحطاط في التنظيم السياسي فحسب، بل صورة انحطاط روحي للإنسان، صورة تصغره، تجعله وسطيا وتحط من قيمته "[5].

وينتقد نيتشه ما تنطوي علية الحركات الديمقراطية من إرادة المساواة بين الجميع، أو ما يمكن تسميته (طغيان الأغلبية) الذي يراه نيتشه كطغيان لإرادة القطيع على إرادة الأفراد المتميزين[6]، لذلك يحتقر نيتشه الحكام في النظم الديمقراطية، ويرى أن ما يقومون به تحت

---

1 -F. Nietzsche , **Twilight of Idols**,Op.Cit ,Sec 9,No 46 ,p 113.

2 -F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit, Sec 6, No 300, p 136.

3- Lewis Call,**Op.Cit** , p 51.

4 -See:

A- Tomas Conte, **Op.Cit**,p 391.

B- M.Warren, , **Op.Cit**,p 230-231.

٥- فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الخامس، رقم ٢٠٣، صـ ١٥٢.

6 -David Owen, **Op.Cit** , p 120.

اسم الحكم هو عبارة عن مساومات مع القطيع حول السلطة[1]، يؤدى هذا التملق للعامة إلى أن يتسيد الحكم أفراد هم بالأساس يعبرون عن القطيع وميوله، مما يعني أن يتنحى القلة الممتازة القادرة على الحكم بحسب ميولها الطبيعية إلى أفراد اكثر قدرة على التعبير عن روح القطيع[2]، ويؤكد نيتشه ذلك:

"تتجه المجتمعات الديمقراطية إلى الاستغناء عن الأفراد اللذين هم بطبيعتهم قادة ومشرعون على نطاق واسع، واستبدالهم بجمع من أناس قطيعيين أذكياء يحلون محل أصحاب الأمر، وهذا هو أساس كل الدساتير التمثيلية المميزة للنظم الديمقراطية، حيث يصبح إنسان القطيع في أوروبا هو الضرب البشرى الوحيد المسموح به"[3].

وهو ما يؤدى إلى ابتذال Vulgarize الحكم، أي جعله مبتذلا وسوقيا، فإذا كان الحكم هو اهتماما لكل الناس ومتاحا لهم، فان القدر الأكبر من القطيع سيكون له القدرة على تحديد شكل المجتمع ومساراته[4]، وهو ما يتنافى مع ما يتصف به الحكم من سمو وما يحتاج إليه من سمات رفيعة سواء كانت طبيعية متوارثة أو مكتسبة من خلال الإعداد والتعلم[5].

ويدلل نيتشه على ذلك من خلال شرحه للتحول في مفهوم العلاقة بين الحكم والشعب من كونها علاقة بين الأقوى والأضعف أو بين الأعلى والأدنى، إلى أداة في يد الشعب[6]، ولكن هذه الأداة لم تستخدم لصنع حضارة أوروبية عظيمة، إنما استخدمت كأداة لإرادة القطيع[7]، وبالتالي ينصاع المجتمع للآراء الأكثر شعبية والأكثر قطيعية مهما كانت النتائج أو التأثيرات التي يمكن أن تحدث على الثقافة[8]

١- آرثر هيرمان، **مرجع سابق**، ص ١٣٠.

٢- فؤاد زكريا، **مرجع سابق**، ص ١١٣.

٣- فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل السابع، رقم ١٩٩، صـ ١٤٤.

4 - F. Nietzsche , **Human , All Too Human**,Op.Cit, Sec 8, No 438, p 161 .

٥- فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل السابع، رقم ١٩٩، صـ ١٤٣.

6 - F. Nietzsche , **Human , All Too Human**,Op.Cit, Sec 8 , No 450, p 165 .

7 -Ender Kiss ,"Friedrich Nietzsche:A Theortician of Modern Democracy",**East Eurobean Quarterly**, Vol 35,No 3, ,pp 373-395, Budapest,EBSCO Publishing,2001, p 376.

8 -**Ibid**, p 377.

لذلك يرى نيتشه أن النظم الديمقراطية ستؤدى إلى أن يتسيد الحكم في أوروبا طغـــاة يعبرون عن روح القطيع أكثر منهم تعبيراً عن إرادة قوية ومبدعة[1]، ويرى نيتشه أن الخطر الأكبر للديمقراطية هو توفير المناخ اللازم لخلق هذا النوع من القوة الطغيان، ويؤكد على ضرورة أن تخلي الديمقراطية السبيل لقوى سياسية جديدة يمكنها أن تعمل على تصحيح مسار المجتمعات والسياسة الأوروبية نحو الاكتمال[2].

وطبقا لنفس المعايير يوجه نيتشه نقده للأفكار الاشتراكية، فيشير إلى أنها تقضى على الفردية لصالح الدولة بحيث تحل الدولة في الملكية والإدارة محـــل ما كان يترك للفرد من قبل، كذلك فهي تبعث بين الناس نوعا من المساواة الوسطية، أو النزوع لجعل الأفراد أكثر وسطية و قطيعية لصالح المجموع[3]، ويؤكد أنه حتى لو تمكنت الاشتراكية من أن تحقق مشروعها الطوباوي، فأن ذلك سيؤثر في قدرة البشرية على إنجاب الأفراد النماذج، لذلك يشير إلى الأفكار الاشـــتراكية باعتبارها مجرد دعاوى غير قادرة على رفع مستوى البشرية ولا تحسينها[4] .

ويقدم نيتشه تفسيراً من منظور آخر للاشتراكية حيث يرى أن الاشتراكية لا تدور حول مسألة العدل إنما حول القوة والسلطة[5]، ويوضح ذلك:

> إن النـــزوع الأساسي للاشتراكيين يهدف لتجريد أصحاب السلطة من سلطتهم، وأهم مصادر هذه السلطة هي الملكيات، والتي يصاحب تحولها إلى الطبقات العامة تحول مماثل للسلطة ووسائل الحكم إلى المسيطرين على هذه الطبقات العامة، مما يعنى تحول الحكم من النخبة الحاكمة إلى نخب جديدة تسعى لفرض سيطرتها، فالدافع الأساسي للاشتراكيين هو الحقد على الطبقات الأعلى من المجتمع وسعيهم لانتزاع امتيازاتهم[6].

إلا أن هذا المنظور لا يمنعه من التعاطف مع الطبقات العاملة، حيث يؤكد أن الطبقات العاملة في عصرة تعانى ظروف معيشية اكثر صعوبة مما كان يعانيه العبيد، وهو ما يؤكد عليه:

---

١ - فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الثامن، رقم ٢٤٢، صـــ ٢١٦.

2 -Lewis Call,**Op.Cit** , p 52.

3- F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit , sec8 , N 473, p 173.

4 - **Ibid**, sec5 , N 235, p 113.

5 -**Ibid** , Second Sequal " Wanderer And His Shadow", N 235 , p 381.

6 -**Ibid**, Sec 8 , No 480, p 179.

إن حياة الرقيق هي من جميع الأوجه أأمن وأهنأ من حياة العامل الحديث، بل أن الرق ينطوي على عمل أقل بكثير مما ينطوي علية حياة العمال[1].

وكذلك يشير إلى أن أي نظام اجتماعي يعنى بتقدم المجتمع يجب أن يعمل على الارتقاء بكرامة ورفاهية العمال كأعضاء مرغوبين في المجتمع يستطيع كل منهم أن يحقق أسمى المهام التي يستطيع إنجازها[2] .

إلا أن نيتشه يرى أن الدعوة لتحسين الظروف المعيشية للطبقات العاملة لا يمنحها أي حق في السيطرة الثقافية والسياسية والاجتماعية على المجتمع المعاصر، وتتبع رؤية نيتشه للنظام الاجتماعي حول هذه النقطة من مبدأ الاستحقاقية، فيرى نيتشه أن العمال (كأفراد لا كطبقة) بحكم خصائصهم الطبيعية وبحكم نشأتهم وتربيتهم وخصائصهم المكتسبة يصلحون للأعمال الشاقة أو العسكرية، ولذلك يرى أنه من الغباء إذا ما كان المرء يرغب في خلق عبيد أن يربيهم ليصبحوا سادة[3]، كذلك فإن الحقوق التي يستحقها المرء تتعلق بصفة أساسية بما يمكن أن يتحمله من أعباء ومهام عظيمة[4]، ومن هذا المنظور يقارن نيتشه بين النماذج العليا من البشر وبين الغالبية العظمى من أفراد القطيع، وينتهي لرفض فكرة تحول الحكم إلى أيدي الجماهير أو القطيع .

ويؤكد تايلور أن نيتشه لم ينكر ضرورة حصول الأفراد على حقوق وضمانات محددة، ولكنه عارض أن جميع الرجال ينشئون متساويين ويحوزون طبيعة متساوية"[5].

وهو ما جعل نيتشه يرى الليبرالية كانتصار تام لإنسان القطيع و أنها غير قادرة على تحقيق أي إنجاز حضاري مثل ما قدمته الحضارات القديمة، ويؤكد أن الليبرالية كأيديولوجية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان هي فكرة خاوية من كل معنى، حيث النظم الليبرالية بما تحمله من مناداة بالاستقلال فإنها تواجه وبشكـــل حاسم أي محاولة للتشكيك في قيمة الليبرالية[6]، وبالتالي تعمل الليبرالية على سيادة أفكار القطيع ضد الآراء المتفردة بنفس الأسلوب الذي تمارسه الأنظمة الشمولية ضد مخالفيها في الرأي.

---

1 -**Ibid,**Sec 8 ,No 457 , p 168.
2 -John Andrew Bernstein,**Op.Cit**,p 147.
3- F. Nietzsche ,**Twilight of Idols**,Op.Cit, Sec 9,No 40 ,p 106.
4 -F. Nietzsche , **The Will to Power**,Op.Cit , Sec 4, N 872, p 476.
5 -Quentin P.Taylor, **Op.Cit** , p 28.
٦- فردريك نيتشه، **العلم الجذل**، مرجع سابق، الكتاب الرابع، رقم ١٧٤، صـــ ١٣٤.

ويمكن فهم الإطار العام لرؤية نيتشه الاجتماعية من خلال المقارنة التي يقيمها إيان كريب Ian Craib في مدخله عن النظريات الاجتماعية الحديثة بين نوعين من التناول النظري للمجتمع، يركز الأول على بُنية المجتمعات ذاتها باعتبارها ذات وجود مفارق لوجود الإنسان، ويكرس هذا الاتجاه لفكرة الثبات الاجتماعي، ويميل لتفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء البُنى الاجتماعية والعلاقات بينها، أما الثاني فيركز على الفاعل الاجتماعي باعتبار المجتمع الإنساني فعلا وأثرا للإرادة الإنسانية، ويؤكد هذا التناول على قدرة الأفراد على إحداث التغير في مجتمعاتهم، ويفسر الظواهر الاجتماعية تفسيراً غائياً، باعتبار البشر فاعلين اجتماعيين يتأملون أفعالهم، ويتخذون القرارات وفقاً لغايات وأهداف محددة[1].

وتنتمي أفكار نيتشه الاجتماعية في مجملها إلى الشكل الثاني من أشكال النظرية الاجتماعية، فمن الصعب أن نجد في كتابات نيتشه تفسيراً لكيفية نشأة المجتمعات الإنسانية وتطورها، والعلاقات بين الأشكال المختلفة للبُنيات الاجتماعية، ولا تحديداً لأدوار الأفراد والجماعات في المجتمع، ولا حتى وصف لكيفية تحول المجتمع إلى النموذج الذي يرغب بتحقيقه، إلا إن نيتشه يقدم في المقابل تركيزاً على قدرة الفرد على إحداث التغير الاجتماعي، إلا أن هذا التغير في ذاته ليس هدفاً مقصوداً، بل هو ناتج عن تحول الأفراد إلى النمط الأعلى من الإنسانية، الإنسان الأعلى، ويقدم الإطار النخبوي المُناخ الاجتماعي الملائم لعملية التحول، والعمل على استمرارها.

ويرى لويس كال أن كتابات نيتشه بشأن المجتمع في عصره يقتصر على الجانب النقدي فحسب، فما من نسق نظام اجتماعي أو ملامح لتنظيم الدولة، أو واجبات والتزامات وحقوق المواطن، وبالتالي ليس هناك مجال لتحديد علاقة بين التربية كمؤسسة اجتماعية وبين المجتمع ككل[2] .

إلا أن هذه الرؤية لا تتفق مع رؤية نيتشه حول دور الفيلسوف كطبيب وفنان ومشرع، " الطبيب الذي يحدد الأعراض والفنان الذي يشكل النماذج، والمشرع الذي يحدد التراتب النهائي للنموذج"[3]، وهذه المحددات الثلاثة لدور الفيلسوف تعمل على أن يتجاوز

١- إيان كريب، **النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد٢٤٤، أبريل ١٩٩٩، ص ص ٤٦-٤٨ .

2- Lewis Call,**Op.Cit** , p 48.

٣- جيل ديلوز، **مرجع سابق**، ص ٩٨.

المشروع الاجتماعي النيتشوي تحديد أعراض العدمية في المجتمع الأوروبي، نحو صياغة الأطر النظرية العامة لنموذج اجتماعي جديد.

النموذج الاجتماعي النيتشوي.

يمكن فهم المشروع الاجتماعي النتشوي من خلال تقسيم مماثل للمستخدم في علم الاقتصاد بين المدخل الواسع لدراسة علم الاقتصاد Macro-Economic والذي يدرس الاقتصاد ككل، والمدخل الدقيق لدراسة علم الاقتصاد Micro-Economic والذي يختص بدراسة الوحدات الاقتصادية، من خلال مدخلين متلازمين لفهم النموذج الذي يهدف نيتشه لتحقيقه :

الأول: المدخل الواسع للمجتمعMacro-Social والذي ينظر من خلاله إلى مؤسسات المجتمع ككل كتجسيد لصيرورة مدفوعة بإرادة القوة، ذات تنظيم نخبوى تراتبى يسمح برفع المجتمع ككل إلى حالة من الاكتمال، تتمثل في تحقيق المنجزات الأسمى للثقافة والمجتمع الإنساني.

الثاني:المدخل الدقيق للمجتمع، Micro-Social ويركز من خلاله على الفاعل الاجتماعي كفرد مستقل متعدد الإبداع في المجالات الاجتماعية والسياسية المختلفة، ويعمل على تدعيم المجتمع وتطويره من خلال تعزيز ورفع قدراته الذاتية وطاقاته الإبداعية.

ويتمثل التفاعل بين المدخلين في رعاية المجتمع ودعمه لإنتاج هؤلاء الأفراد المستقلين، بحيث تمثل عملية تربية هؤلاء الأفراد الهدف الأسمى للمجتمع، كما يتمثل في قدرة هؤلاء الأفراد على الحفاظ على تراتبية المجتمع وتشكيل البُنى المساعدة على دعم وتطوير المجتمع، وتنطلق رؤية نيتشه للمجتمع من الإيمان بقدرة الثقافة على تحقيق مستقبل مغاير، وهو ما يؤكد عليه نيتشه:

> إن البشر قادرين بصورة واعية على إطلاق أنفسهم في ثقافة جديدة، وبينما كانوا يفعلون ذلك بصورة غير واعية وبالمصادفة في الماضي، فبإمكانهم الآن أن يخلقوا ظروف افضل لتوالد الرجال وتربيتهم، إدارة الأرض كلها اقتصاديا، موازنة وتوظيف قوى الرجال بصورة عامة، هذه الثقافة الواعية تحل محل القديمة وتزيل الارتياب في إمكانية التقدم [1].

وهذا هو أساس المشروع النتشوي الاجتماعي والذي يكمن في إمكانية إحداث التقدم البشرى الحضاري من خلال نماذج محددة، إلا أن هذا التقدم لا يمكن إنجازه بواسطة

---

1 - F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit , sec1 , N 24, p 24-25.

المؤسسات فحسب، ولكن قبلا يحتاج لأفراد أفضل [1]، إن التحول في الترتيبات الاجتماعية الذي يشير إليه نيتشه يهدف لتكريس القوى الإنسانية من خلال تشكيل نموذج مضاد يمكن أن يعمل مستقلا عن تأثير المؤسسات الاجتماعية والثقافية الموجودة.

ويؤسس نيتشه نموذجه على أساس مفهومه عن "إرادة القوة" باعتباره مبدأ لتفسير الظواهر الطبيعية والإنسانية، ويعطى لهذا المفهوم معنى جديد في سياق المجتمع، ويشير نيتشه إلى مجموعة من الظواهر التي تعبر بشكل غير مباشر عن إرادة القوة في المجال الاجتماعي[2]:

- الرغبة في الحرية والاستقلال والتوازن والسلام والتعاون والحرية الروحية.
- الإخضاع، عن طريق القوة الجسدية أو الروحية .
- الشعور بالواجب والمسئولية والضمير، الاعتراف بنظام التراتب الذي يسمح بالحكم حتى على الأكثر قوة، أوتأسيس تراتب جديد للقيم .

والذي يجعل من هذه الظواهر تطبيق لإرادة القوة هو مدى الفعالية والإيجابية التي يحاول نيتشه أن يثبتها في المجتمع عن طريق هذا المفهوم، حيث يعطى نيتشه للحرية بعدا جديدا هو "حرية الدخول في صراع" يمكن المرء من تجاوز ذاته والمجال الاجتماعي المحيط به، حيث يرى نيتشه:

> إن حرية الأفراد والشعوب تقاس بمقدار المقاومة التي يجب أن تقهر، من خلال المجهود الذي يجب أن تبذله لتبقى على القمة، إن الظهور الأسمى للإنسان الأعلى يتجلى في قهره للمقاومة الأشد، على بعد خطوات قليلة من الطغيان، قريب جدا من بداية خطر العبودية [3].

ويرى نيتشه أن المؤسسات الليبرالية تعترف بهذا النوع من الدخول في صراع كشكل من أشكال الحرية، ولكنها تحتفظ به لنفسها فقط في مواجهة أي غرائز أو أفكار غير ليبرالية [4].

---

1 -Tomas Conte, **Op.Cit,** p 388.
2 -F. Nietzsche , **The Will to Power**, Op.Cit ,Sec 4, N 774, p 406.
3 -Nietzsche ,Twilight of Idols,**Op.Cit**, Sec 9,No 38 ,p 103.
4- **Ibid** , p 104.

ويساعد مفهوم نيتشه حول الصراع في تفسير مفهوم إرادة القوة داخل السياق الاجتماعي، حيث يمكن قراءة تسييس نيتشه لإرادة القوة من خلال مبدأ الصراع كمجال للقوى المتشابكة أو صيرورة اجتماعية مدفوعة بتوترات الصراع، ويدعم مفهوم الصراع Agon نوع من المنظورية على المستوى الاجتماعي، حيث تكتسب كل الأفكار أو النزعات الاجتماعية نوعا ما من القبول المتساوي من حيث المبدأ[1].

ويستقي نيتشه فكرة الصراع من المجتمع الآثيني القديم، ويكمن مبدأ الصراع في طموح الفرد لملاقاة ما حققه الأفراد العظماء من مجد من خلال تطوير قدراته وطاقاته الشخصية [2]، ويهدف المجتمع من خلال الصراع إلي تطوير كل فرد لنفسه من خلال الصراع مع الآخرين لتحقيق أعلى نفع للمجتمع وأقل ضرر، حيث يهدف كل فرد من خلال اشتراكه في منافسة إلى إعلاء مجد مجتمعه من خلال تحقيق مجده الشخصي [3]، كما يؤكد على دور التربية في المجتمع اليوناني القديم، كوسيلة لإمداد الطلاب بالوسائل التي تساعدهم على الانتصار في الصراع.

ويفرق نيتشه بين الصراع وبين الدافع الوحشي لإبادة الآخر، حيث يمتدح ويعلي الصراع الذي يسمح للفرد بإعلاء غرائزه وتفتح موهبته في مقابل نبذه للصراع المؤسس على الوحشية والكراهية والتلهف للتدمير[4].

ويشير مفهوم الصراع إلى الترتيبات المؤسسية القائمة على المنظورية الاجتماعية التي تسمح بالتنافس بين الأفكار والنزعات الاجتماعية، حيث تكتسب نوع من القبول المتساوي من حيث المبدأ، كما يتعارض مفهوم الصراع وأي شكل من أشكال التقديس الاجتماعي لمجموعة من الأفكار باعتبارها مطلقة مما يسمح بتطوير المشاركات الاجتماعية المتبادلة في إطار من التنافس.

---

1 -See:
A-Don Dombonsky ,"Nietzsche and The Politics of Nationalism", **The European Legacy**, Vol 4, No 5, pp 23-36, Canada,The International Society for The study of European Ideas,199), p 23.
B-Lawrence J.Hatab, "Prospect for a Democratic Agon:Why We Can Still Be Nietzcsheane" , **The Journal of Nietzsch Studies**,pp 132-147 , Vol 24 , N2 , UK, The Friedrich Nietzsche Society , 2002 , p 134.
2 -David Owen, **Op.Cit** , p 125.
3 -**Ibid** , p 126.
4 -Lawrence J.Hatab,**Op.Cit**, p 135.

ويدعم هذا التفسير للصراع مفاهيم مجتمعية مثل التعددية والاستقلال وأهمية مشاركة الفرد في المجالات الاجتماعية المختلفة كوسيلة لتطوير المجتمع من خلال إثبات ذاته، ومن خلال هذا التفسير يبدو مبدأ الصراع كمكون أساسي للمجتمع يضمن استمراره وتعزيزه بصوره مستمرة، وفى المقابل فإن غياب الصراع يؤدى لخضوع الأفراد بصورة عبودية للنظام[1]، وبالتالي تغييبهم عن الاشتراك في الجهود الرامية لتطوير المجتمع.

ويشير هذا التفسير لمفهوم الصراع عند نيتشه إلى العديد من أوجه التشابه التي يشترك فيها مع مفهوم التنافس الديمقراطي، فالترتيبات الاجتماعية في المجتمع الديمقراطي تبقى نتيجة لحسم السباق التنافسي في الانتخابات، والتي تسمح بتبادل السلطة وتحولها، وكذلك حرية الاختلاف التي تسمح بتعدد الخطابات السياسية والاجتماعية، إلا أن ما يعيبه نيتشه على مثل هذه الإجراءات الديمقراطية هو خضوعها لتفضيلات العامة، مما يسمح لرأي القطيع أن يحقق السيطرة في النهاية في مقابل القلة المبدعة، "لذلك يبقى الصراع بالنسبة لنيتشه نشاط انتقائي محصور على السادة ولا يمتد إلى العامة"[2]، وينظر نيتشه للصراع كنشاط أرستقراطي تمارسه النخبة المتميزة لتحديد الاتجاهات والمراتب الثقافية والاجتماعية .

وتميز هذه النقطة الأخيرة مفهوم الصراع النتشوي عن مفهوم الصراع الطبقي عند ماركس، بالإضافة لغياب أي أساس أو تفسير اقتصادي لهذا الصراع، لا يشير الصراع إلى التنافس بين طبقة سائدة و أخرى تسعى إلى السلطة، بل هو صراع بين الأفراد الأعلى داخل التنظيم الاجتماعي، والذي يتحقق من خلاله الشكل الأسمى للتنظيم الاجتماعي.

ولهذا يرى نيتشه أن الديمقراطية والاشتراكية تصيبان الإنسان الحديث بالتضاؤل عندما تحرماه من مصادر القوة الذي يمده بها الصراع، وفى الوقت نفسه يشير للأرستقراطية باعتبارها " الدرجة القصوى من القوة والفاعلية المعروفة للجنس البشرى"[3]، ويؤكد نيتشه:

> "إن كل إعلاء للطراز المسمى إنسانا كان حتى الآن وسيبقى أبدا من صنع مجتمع أرستقراطي ما، بوصفه مجتمعا يؤمن بسلم طويل من المراتب والفوارق القيمية بين إنسان وإنسان "[4].

1- David Owen, **Op.Cit** , p 129.

2 -Lawrence J.Hatab,**Op.Cit**, p 139.

3- Daniel W. Conway , **Nietzsche and The Political**,Op.Cit, p 40.

٤ – فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل التاسع، رقم ٢٥٧، صـ ٢٤٣.

ويرى برنشتين J.Bernstein أن نيتشه في هذه الفقرة لا يعني بالمجتمع الأرستقراطي ذلك المجتمع الذي يجيز أو يشجع الكل أو العديد ليطوروا مواهبهم إلي الحد الأقصى، ولكن المجتمع الطبقي أو حتى التنظيم القمعي والذي لا يشجع بصورة فاعلة أي تعاليم للوحدة الأساسية للجنس البشري، بل سلطة الطبقات الأرستقراطية والظروف النفسية والاجتماعية الناتجة عنها[1].

ويؤكد الباحث على صحة تحليل برنشتين، فأولاً يكتب نيتشه هذا نتيجة لما توصل إليه من مسئولية النظم الاجتماعية للعصر الحديث عن إنتاج أزمة العدمية، وثانياً أن رؤية نيتشه للثقافة العالية هي رؤية هرمية، "حيث يمكنها الوقوف فقط علي قاعدة واسعة"[2]، وثالثاً لأن هدف المشروع الاجتماعي النتشوي ليس تحقيق الخير الأسمى للمجموع ولكن إنتاج الأفراد ذوي الإمكانيات الإنسانية القصوى الذين يحققون اكتمال المجتمع، وأخيراً فإن فلسفة نيتشه العامة هي في الأساس نخبوية، وبصفة عامة يمكن فهم السياق لعام لفكر نيتشه الاجتماعي من خلال التمايز الأساسي الذي يقوم علية فكره بعامة بين الفرد والقطيع.

وعلي الرغم من استخدام نيتشه المتكرر لمصطلح الأرستقراطية Aristocracy في إشارته لنموذجه المجتمعي المرغوب، للتدليل على صفات النبل والأصالة والإقدام والندرة التي تحملها الكلمة، إلا أن لفظ "النخبوية" Elitism يبدو اكثر ملائمة للسياق الاجتماعي النتشوي، باعتباره لا يشير إلي سيادة جنس أو سلالة معينة، بل يشير لحكم المجتمع من قبل نمط جديد من الأفراد يُعلي إرادة القوى الخاصة به من خلال الصراع، وبالتالي فهو أمر متاح لكل فرد يستطيع أن يحقق علاءه على ذاته وإثبات فرديته كشخصية مستقلة، هذه النخبوية تعتمد بالأساس على السمات الشخصية والشروط النفسية للفرد أكثر منها اعتمادا على السلطة أو الثروة المتوارثة، وإن كان نيتشه يرى أن الأخيرة تفيد في توفير التعليم الجيد والابتعاد عن الانشغال بالكدح لتحقيق الرزق اليومي[3].

ويمكن التمييز بين النخبوية التي قصد إليها نيتشه وأرستقراطية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي رأى أنها مترهلة وفاسدة، ويؤكد على أنه لا يفضل حكم مثل هذه الأرستقراطية كنموذج اجتماعي مرغوب فيه:

---

1 -John Andrew Bernstein,**Op.Cit**,p 105.
2 -F.Nietzsche, **The Antichrist**,Op.Cit, No 57, p 64.
3- F. Nietzsche , **Human , All Too Human**, Op.Cit, Sec 8 , No 479, p 176-177.

" إنها لم تكن إلا فصل الختام بفساد دام قرونا وقرونا، فساد كانت الأرستقراطية بموجبه قد تخلت، خطوة خطوة، عن صلاحياتها في الحكم وانحطت إلى مجرد وظيفة للملكية (بل في النهاية مجرد زينة لها)، لكن الجوهري في أرستقراطية حسنة وسليمة هو أن تشعر أنها ليست مجرد وظيفة بل انه المعنى والمسوغ الأرفع للفرد والجماعة"[1]

ويرجع تفضيل نيتشه بالأساس للنخبوية باعتبارها النظام الأمثل لتحقيق الاكتمال البشرى، فالتراتبية الطبقية التي ينصح بها هي الأقصى فعالية في عزل النظام السياسي عن الصدفة والعرضية [2] من خلال إيمان أفرادها بهدف الإنسانية في تحقيق اكتمالها من خلال إنتاج الأفراد القادرين على تحقيق الإنجازات الحضارية والثقافية، " وهو ما يحتاج لنوع جديد من القوة والفاعلية غير معروفة للحداثة"[3] وغير ملائمة للمصادر المستنزفة للفرد في عصر نيتشه " لبناء هذا المجتمع ينقص كل شيء، وتنقص المواد بالمقام الأول، البشر"[4].

ويعبر النموذج الاجتماعي النتشوي عن حاجة لنوع جديد من الفاعل الاجتماعي والسياسي يشير إليه نيتشه بعدة مصطلحات مثل "الروح الحر"و"الروح النبيل"و"الإنسان الأقوى"و"البطل"و"الفرد المستقل " وهى جميع المصطلحات تشير إلى مفهومه الأساسي " الإنسان الأعلى "، أو هي صور لتجسد الإنسان الأعلى في المجتمع، ومن خلال إدراك ما يفهمه نيتشه من وصف لهذه الصور يمكن أن نحدد ماهية الفاعل الاجتماعي كما يرمى إليه نيتشه.

يشير مصطلح **الروح الحر** إلى الفرد الذي تحرر من قيود الأيديولوجية والسياسية فهو أهلا لتكوين منظوره الاجتماعي الخاص، كمقدمة لمجموعة من الأفعال المتفردة التي تصدر عنه والتي تفصله عن القطيع، و يصيغ نيتشه مصطلح " الروح الحر " كنقيض لما اصطلح علية من تسمية المنادين الديمقراطية والليبرالية بالأرواح الحرة، والذين يصورهم نيتشه كسطحيين وعبيد مهرة في خدمة أيديولوجيا بعينها[5].

١- فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل التاسع، رقم ٢٥٨، صـ ٢٤٤-٢٤٥.

2 -Daniel W. Conway , **Nietzsche and The Political**,Op.Cit, p 41.

3- **Ibid**,Op.Cit, p 41.

٤- فردريك نيتشه، **العلم الجذل**، مرجع سابق، الكتاب الخامس، رقم ٣٥٦، ص ٢١٢.

٥- فردريك نيتشه، **ما وراء الخير والشر**، مرجع سابق، الفصل الثاني، رقم ٤٤، صـ ٧٤.

ويخصص نيتشه فصلا في كتابه " ما وراء الخير والشر " لشرح فكرته عن " **الروح النبيل** " فهو استثناء في مقابل المجموع، وهو يحافظ على واجباته ومسئولياته الاجتماعية بالقدر ذاته الذي يحافظ به على امتيازاته وممارساته باعتبارها علامة على نبله، وهو قادر على مواجهة الأخطار الكبيرة كشرط من شروط حياته، أما ما يعين وضعه في أعلى التراتبية الاجتماعية فهو ما يملكه من احترام ويقين راسخ للنفس النبيلة التي يملكها [1].

ويشير نيتشه **للإنسان الأقوى** في كتابه " إرادة القوة " باعتباره الإنسان القادر على تسخير إرادة القوة لخدمة الجنس البشرى بصفة عامة، ليس بدافع من الشفقة أو التوحد مع الغير، ولكن بغرض إثبات وتحقيق إرادة القوة الخاصة به[2]

أما **الفرد المستقل** فيمثل حالة الاكتمال الإنساني في المجتمع، والتي تعبر عن القدرة على مواجهة طغيان القطيع والسلوك وفقا لمعتقداته الشخصية، وهو القادر على التضحية بذاته وفاء لهذه المبادئ، وتتميز شخصيته بالقدرة على المبادرة والشعور بالامتلاء والقوة المتدفقة .

ويصيغ نيتشه فكرة "**الأوروبي الجيد**" كانسان قادر على تجاوز المناظير القومية، فهو الشخص الممثل لنقد الأيديولوجيا القومية، والذي يتبنى بترو منظور اكثر أوروبية [3] وبالرغم من أن نيتشه لا يشير بصفة أساسية إلى شكل من أشكال التوحد الأوروبي أو الهوية العبر أوروبية التي تتجاوز الحدود القومية، إلا انه يرى إن كل إنسان يحقق تجاوزه لذاته يجب أن تتخذ إنجازاته منظورا لا تحده الأفكار القومية الضيقة .

ويرى جلين Glenn أن صورة "**البطل**"في فكر نيتشه تشير إلى نوعية الفاعل السياسي الذي يرغب نيتشه في وجوده، والذي يتخذ من الدولة والسياسة كوسيط لتجاوزه الذاتي ونموه الروحي، مثل النحات الذي يستخدم الأحجار، ليعكس إبداعه في مجال الحكم ما تمثله شخصيته من قوة وحيوية متدفقة، وهو من خلال ما يقدمه كمثال ومن خلال حكمه يساعد على دعم وتطوير الوجود البشرى وسموه[4].

١- **المرجع السابق**، الفصل التاسع، ص ص ٢٤٣-٢٨٢ .

2 -Nietzsche , **The Will to Power**, Op.Cit , Sec 3, N 776, p 407.

3- Stefan Elbe, **Op.Cit**, p 77.

4 -Paul F.Gleen, "Nietzsche's Napoleon:The Higher Man As Political Actor", **Reviwe of Polittics**, Vol 63, No 1, pp 129-158, university of Notre Dame, 2001, pp 149-150.

أما مفهوم " **العبقري أو المبدع** " فيعتبره نيتشه المسوغ الأرفع لوجود المجتمع البشرى، باعتباره هدف المجتمع وأداة بناءة، حيث يرى أن معيار التفوق ليس القوة أو السلطة أو المركز الاجتماعي، بل هو الإبداع والذي يحل في الخصائص والطاقات الاستثنائية والمآثر والمنجزات الاجتماعية، " فبالنسبة لنيتشه يجب أن يؤسس المجتمع على المبادئ الأرستـــقراطية للإبداع، أن تكون دولة المبدعين بواسطة المبدعين، ولأجـــل المبدعين "[1].

وتمثل هذه الصور اوجه تحقق الإنسان الأعلى، مما يؤكد على أن الإنسان الأعلى ليس مفهوما مجردا كما تشير بعض الدراسات[2]، إن أفضل فهم للإنسان الأعلى يكمن في طرح نيتشه الثابت لصور الأبطال والبشر الأسمى، من ثم فصياغة الإنسان الأعلى كتجسد للاكتمال هو أقرب منه لتجاوز الجنس البشرى ، فالإنسان الأعلى هو كل إنسان دعم حدود إمكانية الاكتمال البشرى، ويتمثل في الأفراد الذين يجسدون المنجزات الأسمى لأية ثقافة أو حقبة [3]، وتحول الإنسان العادي إلى إنسان أعلى هي عملية اجتماعية تتوقف على آليات التربية التي يقدمها المجتمع لأفراده.

المضامين التربوية في فكر نيتشه الاجتماعي.

يعبر نقد نيتشه للأفكار والنماذج الاجتماعية والسياسية في عصره عن شعوره العميق بالأزمة الروحية للحداثة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، حيث قطع المجتمع الحداثي في أوروبا علاقاته بالأشكال الاجتماعية السابقة، معلنا شكلاً واحداً مسموحاً به من المجتمع، وهو مجتمع الدولة القومية بما يحمله من توجهات صناعية رأسمالية، والنزوع نحو التسلح والتسابق الإمبريالي، وتحولات السلطة إلى فئات من الشعب تهتم بالنزعات السابقة وتعمل على دعمها وتقويتها، لذلك فقد اهتمت الطبقات الحاكمة الجديدة بنشر أفكارها وإكسابها السيطرة على أفراد المجتمع، وتحويلها إلى أدوات طيعة ونافعة لها في تحقيق أهدافها.

وتحقق الدولة مثل هذه السيطرة وقهر الفرد من خلال أنظمتها البيروقراطية والاقتصادية، وكذلك من خلال وسائل الأعلام والتربية [4].

---

1 -Quentin P.Taylor, **Op.Cit** , p 40.
2 -Daniel W. Conway , **Nietzsche and The Political**,Op.Cit, p 14.
3- Daniel W. Conway , **Nietzsche and The Political**,Op.Cit, pp 22-23.
4- George Schopfin,**Op.Cit**,p 75.

وتشكل العلاقة بين السلطة والنظام التربوي أو المؤسسات التربوية أحد الموضوعات الهامة، والتي تناولها العديد من التربويين وعلماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد في القرن الماضي، ومازالت موضوعاً للعديد من المداخلات في القرن الحالي، لتحديد طبيعة هذه العلاقة، أو للتنظير لأفكار جديدة تعيد صياغتها، ويمكن تحديد هذه المدخلات في اتجاهين رئيسين يمثلان النظرة العلمية لواقع هذه العلاقة، وهما الاتجاه الوضعي(ممثلاً في الوظيفية البنائية بصورة خاصة) والاتجاه النقدي(ممثلاً في النظرية النقدية في التربية وعلم اجتماع التربية الجديد):

- الاتجاه الوضعي:ويرى في سلطة الدولة مؤسسة رشيدة تعمل لصالح جميع أفرادها، ويشكل النظام التعليمي في هذا الإطار مؤسسة مجتمعية مركزية تعمل على دعم واستمرار المجتمع، وأن التربية المدرسية تقوم بتصنيف الأفراد طبقاً لمؤهلاتهم وإمكاناتهم، وبالتالي تؤسس لمجتمع طبقي مرن يقوم على أساس الجدارة والاستحقاق، ويسمح بعملية حراك اجتماعي واسعة.
- الاتجاه النقدي:ويرى أن سلطة الدولة في العصر الحديث هي تجريد لقوى سياسية وعسكرية واقتصادية متحالفة تسيطر على المجتمع وتوجهه لخدمة مصالحها الخاصة، ويشكل النظام التربوي في هذا النموذج مؤسسة لإمداد المؤسسات الاقتصادية بالأيدي العاملة اللازمة للوظائف المختلفة.

ويمكن القول أنه بينما يعبر الاتجاه الوضعي عن استمرار لفكر الحداثة ومفاهيمها، فإن الاتجاه النقدي يعبر عن ذات الأسس التي يقوم عليها نقد نيتشه لدور الدولة في التربية، والتي تؤكد أن التربية النظامية المسيطرة عليها من قبل الدولة قد عملت بنجاح على تصغير الوجود الإنساني وتقزيمه في صورة واحدة البعد، وهو عضو المجتمع الصالح كأداة لتحقيق اكبر قدر من المكاسب، مما يقضي على الإمكانات اللانهائية التي يمكن للفرد تحقيقها، كإنسان قادر على تجاوز ذاته وتشكيل شخصيته وإثباتها بكل ما تحمله من اختلافات، هذا الإنسان هو الذي يعتبره نيتشه قادرا على إنشاء ثقافة صحية ومنتجة، إلا أن النظم الاجتماعية والتعليمية قد تجاوزت ذات الإنسان باعتباره إنسانا واختزاله إلى مجرد أداة اجتماعية، ويؤكد نيتشه على ذلك:

السؤال الأكثر تشخيصاً للحقيقة : ما الذي افعله حقاً ؟ ولماذا افعله ؟ هذا هو السؤال الحقيقي الذي لا يصلح في أنظمتنا التربوية الحديثة وبالتالي لا يسأل، ليس لدينا وقت له [1].

ويشير الاتجاه النقدي كذلك إلى أن المجتمع الحديث يقدم شكل من أشكال القمع الذي تفرضه مصالح السلطة الحاكمة ومؤسساتها وتنظيماتها، والتي عملت على إخضاع الفرد للمؤسسات المتحكمة في وجوده اليومي، وموضعة وعيه في نقطة محددة وموجهة نحو الهدف لذي تتوخاه الدولة ومؤسساتها، لتكريس ديمومتها وتحقيق منفعتها الكمية والكيفية في الهيمنة والسيطرة بشكل طردي[2].

وتعد كتابات بورديو من أهم المداخلات التي تناولت علاقة الدولة أو السلطة بالتربية، ويشرح بورديو هذه العلاقة في ضوء مصطلحي إعادة الإنتاج والعنف الرمزي، حيث تميل السلطة المسيطرة على المجتمع إلى استخدام النظام التربوي من اجل إعادة إنتاج نفس علاقات القوة الموجودة في المجتمع بهدف تثبيت سلطتها ودوامها، حيث يعد النشاط التربوي أحد أهم الأساليب التي يمكن للسلطة من خلالها تدعيم علاقات القوة والحفاظ على شكلها الحالي[3]، وتمثل هذه العلاقات بين السلطة والتربية نوع من العنف الرمزي المستخدم من قبل الدولة والذي يعمل على خضوع النشاطات التربوية، وتوجيهها في الاتجاه المحدد، ويبلغ هذا العنف الثقافي أوجه عندما يتم حجبه أو تمويهه بصورة لا يمكن إدراكها[4]، كما يؤكد بورديو على أن فكرة وجود نشاط تربوي حر ومحايد ثقافياً أو اجتماعياً هي فكرة غير ممكنة التحقق اجتماعياً[5]، ووفقاً لهذه النظرة يمكن تناول العلاقة بين المجتمع والتربية كما يراها نيتشه.

ويتقارب فكر نيتشه حول علاقة التربية بالمجتمع مع رؤية باولو فريري القائلة بأن التربية لا تشكل المجتمع، وإنما المجتمع هو الذي يشكل التربية وفقاً للذين يمسكون بزمام

1-F.Nietzsche, **Daybreak: Thoughts on the Prejudices of Morality**,Op.Cit, p 132.

٢- شبل بدران، **مرجع سابق**، ص ٢٥.

٣- بيير بورديو، **العنف الرمزي**، ترجمة:نظير جاهل، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤، ص٢١.

٤- **المرجع سابق**، ص ٢٣.

٥- **المرجع سابق**، ص ٢٥.

السلطة[1]فيه حيث يري نيتشه أن التربية بما تتضمنه من أهداف وقيم ومهارات يتم تحديدها أولاً علي نطاق مجتمعي، والعمل علي دعم وتنمية هذه القيم من خلال الجهاز التربوي [2].

ويركز كل منهما في نموذجه على أهمية أسبقية الإرادة المجتمعية لتحقيق التغيير في نظام التعليم، وبينما يرى فريري أن إصلاح التعليم يحدث من خلال تبني قيم الديمقراطية والمشاركة في المجتمع، فإن نيتشه يؤكد أن المجتمع يجب أن يؤسس على القيم النخبوية باعتبارها القادرة على الرقي بالجنس البشري وتحقيق الاكتمال[3].

ويري نيتشه أن التنظيم التربوي الملائم لتحقيق الاكتمال لا يمكن وجوده بدون أن تسبقه الإرادة المجتمعية في وجود هذا النوع من التربية " التربية القائمة علي إرادة القوة "[4] وهي التربية الموجهة ليس نحو تحقيق المعايير، ولكن تهدف إلي تحقيق الإنسان كاستثناء، الإنسان الذي يتميز بدقة عن المحيطين به، تحقق من خلاله التربية (باعتبارها كياناً مجتمعياً) سموها علي ذاتها بأعداد أفـــراد يتجاوزن الشروط الاجتماعية التي يتم إنتاجهم من خلالها[5].

ويري نيتشه أن هذا لن يتحقق من خلال جهاز تربوي يعمل علي المحافظة علي الأوضاع السائدة وتحقيق الاحتياجات الحالية للمجتمع، بل من خلال رؤية لمهمة التربية باعتبارها عملية تعزيز لقوي المجتمع ورفعها، من خلال تصور مستقبلي للمجتمع يحدد من خلال مهام عظيمة للجنس البشري و يري نيتشه أن مهمة التربية هي إعداد الأفراد القادرين علي القيام بهذه المهام العظيمة[6].

ويتطلب إعداد هؤلاء الأفراد من أجل تجاوز المجتمع شكلاً مغايراً لما يمكن أن تقدمه المؤسسات التربوية التقليدية، كما يفترض أشكال جديدة من العلاقات والأساليب التربوية التي تتضمنها التربية النظامية أو اللانظامية في المجتمع، وهو ما يتفق مع ما يقوم به نيتشه من إعادة تقويم للقيم على المستوى الاجتماعي.

---

١ – سعيد إسماعيل علي، **فلسفات تربوية معاصرة**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم١٩٨، يونيو١٩٩٥، ص ١٩٣.

2- F. Nietzsche , **The will to Power**, Op.Cit, Sec 4,No 888,p 473-4747.

3- **Ibid**, Op.Cit, No912, p 482.

4 -**Ibid**, No916, p 484.

5- **Ibid**, No933, p 492

6- **Ibid**, No 898, pp 477-478.

ومن خلال هذا المنظور يمكن أن نلاحظ إن نيتشه يستبدل مبدأ المساواة بمبدأ "الاستحقاق"، والذي من خلاله يمكن للتنافس الاجتماعي أن يشكل مجالا للدعم المتبادل بين الفرد والمجتمع، ويسمح للفرد بالتعبير عن ذاتيته في إطار اجتماعي، وتشكل التراتبية النخبوية مجالا للحفاظ على قوى الفرد والمجتمع في حالة نشطة من الفاعلية .

ويرى الباحث أن هناك تناقض بين نقد نيتشه لتأثير الدولة والنزعات الاجتماعية المصاحبة لها على التربية، وبين النموذج الاجتماعي التراتبي الذي يحدده، فبينما ينتقد هيمنة الدولة على مؤسسات التعليم ودفعها في اتجاه مصالحها، فإنه يستبدل هذه الهيمنة بسيطرة أخرى على المجتمع بأكمله من قبل طبقة حاكمة ومسيطرة تشرع لذاتها ما شاءت من حقوق، وهو ما يتعارض أيضاً مع قيم الحرية والفاعلية المتضمنة في الفاعل الاجتماعي كما يتصوره.

ويحاول نيتشه التغلب على هذه السيطرة من خلال شرعنة الصراع، أي تحول الصراع إلى ممارسة اجتماعيّة تضم مجموعة من النشاطات المقبول بها مِن الجميع، وفقاً لشروط وقواعد محددة يتم التعارف عليها، والكفيلة بتقنين القوة في مركز السلطة ومجابهتها بسلطات أخرى تملك الحق في والقدرة على تعديل علاقات القوة.

ويقصر نيتشه حق الدخول في صراع على النخبة التي هي أصلاً تملك الحق في تحديد قواعد الصراع، والمتاح لها من خلال موقعها كنخبة، وهو ما يتيح لها إعادة إنتاج علاقات القوة في صالحها، مما ينفي قدرة النموذج النيتشوي على تجاوز نمط الهيمنة المفروض من قبل السلطة المسيطرة، ويؤكد بورديو على أن وجود أكثر من مرجعية تطمح إلى الممارسة الشرعية لسلطة الفرض الرمزي، يؤدي لانعقاد علاقات قوة وروابط رمزية تعبر عن ميزان القوى القائم بين هذه المرجعيات، ضمن تشكيلة اجتماعية محددة تحتكر شرعية السلطة[1].

لذلك يمكن القول إن نيتشه لم ينجح في تجاوز الأطر النظرية الاجتماعية والسياسية لفكر الحداثة، وما يقوم به نيتشه في هذا المجال هو إحلال طبقة ما تحكم من خلال منظور نخبوي محل فكرة الدولة الرشيدة في الفكر الحداثي، وتتسم بذات النموذج السلطوي، وتعمل من خلال نظام التربية على معاودة إنتاج نفس علاقات القوة التي تميل لصالحها.

١- بيير بورديو، **العنف الرمزي**، مرجع سابق، ص ٢٦.

إلا أن القيمة التربوية لفكر نيتشه الاجتماعي تكمن في رؤيته لقدرة الفرد كفاعل اجتماعي على تحقيق اكتماله الثقافي، بعيداً عن مجالات الهيمنة والسيطرة الثقافية التي تفرضها علاقات القوة في المجتمع، كما تكمن في تأكيده على نقد الممارسات السلطوية التي تمارسها الدولة الحديثة في مجال التربية، وقدرته على طرح نظام بديل-مهما كانت مثالبه- للنظم الديمقراطية، والتي تبدو ككلمة نهائية في الفكر الاجتماعي والسياسي، لا يمكن للإبداع الإنساني تقديم بديل لها أو مجاوزتها.

وبذلك يكون قد تم تناول الجوانب الإنسانية والمعرفية والأخلاقية والاجتماعية في فلسفة نيتشه، وأهم المضامين التربوية في هذه الجوانب، ويتم في الفصل التالي تناول أهم الأفكار التربوية في فلسفة نيتشه، في ضوء مفهوم وأبعاد التربية وفقاً للتصور النيتشوي.